جماليات السرد النسوي في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور

الباحثة/بسمة محيسن القثامي
تخصص أدب ونقد التقديم
جامعة أم القرى
المملكة العربية السعودية

ملخص:-

يهدف البحث إلى كشف جماليات السرد النسوي في الأدب العربي القديم، والذي استبعد طوال التاريخ عن مركزية الثقافة كما شهد تمييزا ضده يصعب إغفاله في المجالات كافة، فالآداب العربية القديمة شعرية وسردية كانت تموج بصور المرأة الجارية، التي اقتصر دورها على تقديم المتعة للرجل، فهي موضوع للذته، وندر أن جرى الاهتمام بها خارج هذه الوظيفة النمطية الموروثة.[1]

ولكن ظهرت على الساحة الأدبية بعض الدراسات التي عكست هذه الصورة، وكشفت دور المرأة الأدبي، والثقافي في السرد العربي، ومن هذه الدراسات دراسة عبد الحي الحوسني (نثر المرأة من الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي) وكتاب إنغام زعل القيسي (جماليات السرد النسوي في أحاديث بن دريد دراسة في الرؤيا والتشكيل).

والبحث الذي نحن بصدده هو دراسة تروم كشف جماليات السرد النسوي في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور، وذلك من خلال استقراء النصوص المتعلقة بالنسوة، أي التي تكون في إطار الخطاب النسوي بعيدا عن الهيمنة الذكورية للغة، وللخطاب (وفيما يخص نوع الكتابة السردية ينبغي التفريق بين كتابة النساء، والكتابة النسوية، فالأولى تتم بمنأى عن فرضية الرؤية الأنثوية للعالم وللذات إلا بما يتسرب منها دون قصد، وقد تماثل كتابة الرجل في الموضوعات والقضايا العامة، أما الثانية فتتقصد التعبير عن حال المرأة، استنادا إلى تلك الرؤية في معاينتها للذات وللعالم)[2]

[1] انظر: عبد الله إبراهيم، السرد النسوي الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية، والجسد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٢٠١١ ، ص ٥-٦

[2] نفسه، ص٥

لذلك انطلق البحث ليدرس مفهوم السرد النسوي في مبحثين الأول منهما يكشف ثلاثة محاور تتمحور حول علاقة المرأة بالخطاب السردي:

١. المرأة الفاعلة للخطاب السردي المركزي.

٢. المرأة المحركة لثنائية السرد (المرأة والرجل).

٣. المرأة المتلقية الناقدة.

حيث كشف البحث من خلال هذه المحاور خلفيات الفكر النسوي، والاستقلال في خطابها عن الذكورة.

أما المبحث الثاني فقد تناول الموضوعات والقضايا التي تشكلت حول السرد النسوي، وهي:

١. صورة المرأة السياسية (الخطابة).

٢. صورة المرأة العالمة.

٣. صورة المرأة الواعظة.

ولعل هذا البحث يقدم أمثلة تؤكد أن السرد النسوي قد أغنى، وأثرى مدونة السرد العربي القديم بعد (عمر مديد من الحكي والاقتصار على متعة الحكي وحدها... إذ لم يعد الرجل هو المتكلم عنها والمفصح عن حقيقتها وصفاتها كما فعل على مدى قرون متوالية)[١]

[١] عبد الله الغذامي، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، ط ١٩٩٦م، ص ٨

تمهيد

مفهوم السرد النسوي:

من الملاحظ أن مفهوم السرد النسوي قد اختلف عليه كثيرٌ، وتباينت حوله الآراء فنجد له مسميات كثيرة: الأدب النسائي أو النسوي أو الأنثوي أو أدب المرأة، وجذور هذه المسميات مستوردة من الغرب، فقد تبلور مصطلح الأدب النسوي (نتيجة المخاض الأدبي- النقدي للنصف الأول من القرن التاسع عشر، حيث شهدت الساحة الأدبية الإنجليزية حضورا نسويا أكثر كثافة في سوق الرواية)[١].

ولتعميق فهم سياق الأدب النسوي نقف على ثلاثة مصطلحات وضحها محمد عنان وهذه المصطلحات هي: الحركة النسائية والتي يعتبرها ذات طابع سياسي، ومصطلح الأنثوية ويرى فيه قضية بيولوجية، ثم مصطلح النسائية أو النسوية ويصنفه كمجموعة من الخصائص التي تحددها الثقافة. فالأدب النسوي لا يرتبط باتجاه سياسي أو تركيب بيولوجي إنما هو ظاهرة وليدة الثقافة[٢].

ويعود ظهور المصطلح في العالم العربي إلى مرحلة النهضة كما ذكرت يمنى العيد (ويمكن القول إن استعمال مصطلح "الأدب النسائي" يعود في العالم العربي إلى مرحلة النهوض التي أدرك فيها المتنورون أهمية المرأة في نهوض المجتمع، وهو ما استدعى تعليمها، وأفسح لها من ثم إمكان المشاركة في النشاطات الاجتماعية والثقافية والإنتاج الأدبي)[٣].

ونجد كثرة الآراء في عالمنا العربي بقضايا عديدة مرتبطة بالمصطلح كمفهوم، وتسمية، واجتهاد كل فريق في البحث عن تعليل للاسم الذي اختاره، يقول أشرف توفيق (هناك قضية اسمها أدب المرأة. لا يقصد بها الأدب المكتوب عن المرأة، ولكن يقصد بها

---

[١] نازك الأعرجي، صوت الأنثى-دراسات في الكتابة النسوية العربية، دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١٩٩٧م، ص ٢٥

[٢] انظر: محمد عناني، الأدب والحياة، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م، ص ١٨٢

[٣] يمنى العيد، مقال أدب نسائي في عالم العربي، إيلاف، ٢٠٠٤م، ص ٢

الأدب الذي تكتبه المرأة، وقد خرج من أدب المرأة تسميتان نقديتان غاية في الأهمية: الأدب النسائي والأدب النسوي)[١].

وبتعدد المسميات يظهر لنا الاختلاف في ماهية السرد النسوي وأنه ما زال غامضا مبهما في ظل غياب تحديد مرجعية النظرية.

وباستقراء نصوص بلاغات النساء لابن طيفور نستطيع أن نحدد علاقة المرأة بالسرد من خلال ثلاثة أبعاد مهمة وهي: .

المبحث الأول:

١. المرأة الفاعلة للخطاب السردي المركزي:

وهي المرأة الساردة، والخالقة للعالم السردي إذ (لا تترك لغيرها من الشخوص المشاركة في إنتاج السرد إلا بقدر محدود)[٢] ، فهي المحركة لسلطة السرد، والبؤرة الفاعلية، ويظهر ذلك من خلال تحكمها في مجريات الأحداث والشخوص، والبوح بقضاياها سواء كانت خاصة أو عامة والمشاركة في قضايا المجتمع الثقافية، والاجتماعية.

ومتى ما استطاعت الساردة التحكم بالشخوص، استطاعت أن تتميز في سردها (لأن الشخصية هي الشيء الذي تتميز به الأعمال السردية عن أجناس الأدب الأخرى، وهي التي تنجز الحدث.. وهي التي تعمر المكان.. وهي التي تتفاعل مع الزمن)[٣].

ومن الأمثلة التي تشكل تجارب النساء مادة أساسية للسرد ما أورده ابن طيفور حول قصة مجموعة نساء يصفن أزواجهن:(كان نسوة في الجاهلية إحدى عشرة امرأة قعدن يتذاكرن أزواجهن.. فأما أولى الذوام، فقالت زوجي لحم جمل غث بجبل وعر لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقى.... وقالت الثانية: زوجي المس مس أرنب والريح ريح زرنب أغلبه والناس يغلب)[٤].

---

[١] أشرف توفيق، اعترافات نساء أدبيات، القاهرة: دار الأمين، ١٩٩٨م، ص ٩

[٢] رشا ناصر العلي، ركائز السرد النسوي وخصائصه، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ع ٧٥ شتاء _ربيع ٢٠٠٩م، ص١٤٩

[٣] سيد محمد قطب، وآخرون، في أدب المرأة، القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط٢٠٠٠م، ص ١٥٥

[٤] أحمد ابن طيفور، بلاغات النساء، انتشارات مكتبة الحدرية، ط٢، ١٣٧٨، ص ١١٣-١١٤.

يتوزع السرد على مجموعة من النساء يدرن دفة الحديث ويتحكمن في النسيج الداخلي للمادة السردية فيسردن الحكايات والقصص، والجامع المشترك بينهن هو الرجل إذ تضع كل شخصية زوجها تحت مجهر التحليل النفسي والجسدي وتبرز مواطن المدح والذم، والمتأمل للنص يجد ملكة لغوية هائلة استعانت فيها الشخصية النسائية لإبراز أثر معاملة الزوج لزوجته، وسيطرتها على الأدوار الأساسية في العملية السردية، ولم يعدم النص العبارات المؤثرة المبنية على أسلوب التشبيه من مثل تشبيه قلة خيره بلحم الجمل الهزيل، و شبهت سوء خلقه بالجبل الصعب المرتقى، والأخرى تشبهه بحسن الخلق ولين الجانب كمس الأرنب.

ويكشف هذا النص أيضا مكانة التجمعات النسوية، وأهمية مجالسهن في المتعة العقلية إذ (كانت المجالس فرصة للمتعة العقلية وهي بذلك تعكس المكانة التي احتلها العقل في الثقافة العربية الإسلامية)[1].

٢. المرأة المحركة لثنائية السرد (المرأة والرجل):

يرتكز هذا السرد على تكافؤ الطرفين المرأة، والرجل في صناعة الأحاديث السردية وقد تحتل المرأة فيه أحيانا مساحة أوسع من الرجل بحكم علاقتها الوطيدة مع السرد، كما تقول فرجينيا وولف بأنه (منطقة نسائية منذ زمن بعيد)[2] ، وهي تحتل أيضا هذه المكانة بفضل الأدوار التي تقوم بها، والمتمثلة في الأم، والزوجة، والابنة، وغيرها، والمؤثرة في المجتمع وفي ثقافته.

ونجد ميل السرد عند امرأة أبي الأسود الدؤلي بوصفها الطرف الإيجابي في الثنائية كما ورد ذلك في مجلس الأمير معاوية بن أبي سفيان إذ (أقبلت امرأة أبي الأسود الدؤلي حتى حاذت معاوية وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته... لقد ألجاني اليك يا أمير المؤمنين أمر ضاق علي...فقال لها معاوية ومن بعلك هذا فقالت هو أبو

[1] فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، المركز الثقافي العربي، ترجمة: فاطمة الزهراء أزرويل، ص ١٤٧.

[2] رضا الظاهر، غرفة فرجينيا وولف: دراسة في كتابة النساء، دمشق، دار المدى، ط١، ٢٠٠١م، ص ١٢٥.

الأسود الدؤلي...فلما كان الرواح جاءت ومعها ابنها قد احتضنته، فلما رآها أبو الأسود الدؤلي قام اليها لينتزع ابنه منها. فقال له معاوية: يا أبا الأسود لا تعجل المرأة أن تنطق بحجتها

قال: يا أمير المؤمنين أنا أحق بحمل ابني منها...يا أمير المؤمنين حملته قبل أن تحمله ووضعته قبل أن تضعه.

قال: فقالت: صدق والله يا أمير المؤمنين حمله خفا وحملته ثقلا ووضعه بشهوة ووضعته كرها، إن بطني لوعاؤه وإن ثديي لسقاؤه وإن حجري لفناؤه فقال معاوية: سبحان الله لما تأتين به...فقضى لها معاوية عليه واحتملت ابنها وانصرفت) [1].

في هذا النص قد احتل الرجل والمرأة مساحة ثقافية وأدبية متكافئة مبنية على الثنائية الضدية في المواقف، وهذا الخطاب أو الحديث السردي يشير إلى أن لدى المرأة القدرة البلاغية في السرد، والتي من خلالها تستطيع المطالبة بحقها الشرعي في ضم الابن لها، وقبول حجتها، والحكم لها بوصفها الطرف المؤثر، والإيجابي في هذه الثنائية الضدية.

٣. المرأة المتلقية (الناقدة):

ينسب هذا السرد إلى المرأة القادرة على تأويل النص الموجه لها ونقده، فهي غالبا تمتلك زمام السرد من حيث تمكنها من تفكيك أبعاده، وتأويل سياقاته المختلفة، فهي لا تكتفي بالجواب المباشر بل يجد المتلقي ساردة فاعلة تخوض في ما وراء النص أو في نقده.

ومن أمثلة هذا اللون من السرد الذي تقوم فيه المرأة بدور المتلقي والناقدة، ما روي عن المحاورة التي جرت بين عبد الملك بن مروان، وعزة كثير إذ (دخلت عزة كثير على عبد الملك فقال لها: أنت عزة كثير قالت: أنا عزة بنت حمل قال: تروين قول كثير:

وقد زعمت أني تغيرت بعدها	ومن ذا الذي يا عز لا يتغير
تغير جسمي والخليقة كالذي	عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

[1] أحمد ابن طيفور، بلاغات النساء، انتشارات مكتبة الحدرية، ط٢، ١٣٧٨، ص٧١-٧٣-٧٤.

قالت: لا، ولكني أروي وأعرف قوله:

كأني أنادي صخرة حين أعرضت من الصم لو تمشي بها العصم زلت
صفوحا فما تلقاك إلا بحيلة فمن مل منها ذلك الوصل ملت [1]

كانت عزة هنا وبفطنة أنثى أدركت انصراف المعنى في البيتين اللذين أوردهما عبد الملك إلى ما يعيب فيها، وبحس نقدي لافت أوردت بيتين، تتجاوز بهما المأزق إلى ما هو في صالحها، واستعانت بهذين البيتين ليخرجاها من الحالة السلبية إلى باحة واسعة، وبملكة نقدية غذتها معرفتها بشعر كثير، بحيث تبدو هي المسيطرة في الأداء الشعري لكثير وأنها جزء من تكوينه الذي لا يمكنه تجاوزها.

ومن الأمثلة أيضا حديث بثينة مع عبد الملك بن مروان إذ روى ابن طيفور عن عجلان مولى عباد قال: (يا أمير المؤمنين هذه بثينة بالباب قال: بثينة جميل قال: نعم. قال: أدخلها...فقال عبد الملك: ويحك يا بثينة ما رجا فيك جميل حين قال فيك ما قال. قالت: الذي رجت منك الأمة حين ولتك أمورها. قال: فما رد عليها عبد الملك كلمة)[2].

هنا أيضا تحضر سرعة بديهة المرأة، ونقدها، إذ كأنه أراد لها موقفا مهينا لكنها بإباء المرأة أوقفته عند حده، ولم ترض تلك المخاطبة المهينة، والتهكمية، فكان لا بد أن تسترد كرامتها دون الاهتمام بدوره الوظيفي كخليفة، ووضعه الاجتماعي كمسؤول لم يرهبها بل وقفت له بكل ندية، وعبرت بإفحام بما لم يسعفه على الرد في بدهية سريعة حيث لم تتردد أو تخشى شيئا دلالة على أن المرأة حين تعتز بشخصيتها وتثق في ذاتها لن تكون معنية إلا بالدفاع عن هذه الذات، أيا كان من يواجهها.

[1] أحمد ابن طيفور، بلاغات النساء، انتشارات مكتبة الحدرية، ط٢، ١٣٧٨، ص٢٢٦.
[2] أحمد ابن طيفور، بلاغات النساء، انتشارات مكتبة الحدرية، ط٢، ١٣٧٨، ص٢٢٧.

ويشغل الحوار حيزا، واسعا في هذه النصوص السردية إذ يعتمد على أيديولوجية تتمثل في كشف المواقف، والاتجاهات الفكرية للشخصيات مع ما يرتبط به من اعترافات عاطفية[1].

[1] انظر: أحمد فرشوخ، جمالية النص الروائي: مقارنة تحليلية لرواية (لعبة النسيان) الرباط، دار الأمان، ط١، ١٩٩٦م، ص ٩٤-٩٥.

المبحث الثاني:

لقد اتهمت المرأة منذ فجر التاريخ بأنها عاطفية مختصة بسرد القصص، والحكايات، وجعلوها رمزا لها كشهرزاد، وغيرها، وهناك من يراها مخلوقا صامتا كمحمد عناني يقول عنها (والمرأة التي يقدمها التراث إلينا مخلوق صامت، جمع إلى حسنه سحرا وغموضا وبعدا عن عالم الناس، فأما الصمت مصدره أمران: أولهما عدم الحاجة إلى الكلام، لأن الكلام جهد لا غناء فيه من جانب كائن لا يتوقع أحد أن يفيض فمه بلآلئ الحكمة، وثانيهما لأن الصمت يساهم في جو الغموض الذي يفترضه المجتمع في المرأة، ولذلك فنحن لا نسمع المرأة في الأدب العربي القديم إلا حين تتقدم في السن ويزول خطر الغموض: فأصوات النساء في هذا الأدب خافتة، بعيدة، واهنة)[1].

وهناك كتب أنصفت المرأة، وقدمت نماذج حقيقية تثبت بلاغة وبراعة المرأة، وثباتها على المنابر للرد، والإفحام، ومن هذه الكتب كتاب بلاغات النساء الذي ضم خلاصة منتخبة من صورة المرأة المختلفة تبعا لاختلاف المواقف والحياة الاجتماعية، وذكر الكتاب بعض النصوص السردية النسائية التي تتجلى فيها صورة المرأة، ورويتها، ودورها، وحضورها، وطبيعتها الشخصية، وفيما يلي بعض هذه الصور:

١. المرأة الواعظة:

يمتلئ السرد النسوي القديم بصورة المرأة الواعظة الناصحة الجريئة على قول الحق، والمذكرة بلقاء الله، واليوم الآخر، والواعية بكل موقف من مواقف الحياة، وهذه الحرية في التعبير والانطلاق والوعي، هي نتاج لجو الحرية التي كانت تعيش فيه المرأة بعد ظهور الإسلام.

ومن الأحاديث التي تسرد صورة المرأة الواعظة والناصحة ما جاء به ابن طيفور عن إسحق بن إبراهيم أنه سمع امرأة أعرابية تقول: (تيسروا للقاء الله عز وجل فإن هذه الأيام تدرجنا أدراجا).[2]

هذه الكلمات تعبر بصدق عن خالص النصح، والعاطفة الصادقة وجاءت موجزة بعيدة عن التكلف لكنها بليغة تمثل تلك الاقتباسات المستمدة من النهج الإسلامي.

ومن (أهم مميزات النثر الإسلامي، الصدق والحقيقة والبعد عن الكذب مع العفوية والانسيابية، والبعد عن التكلف أو التصنع)[3].

---

[1] محمد عناني، الأدب والحياة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١٩٩٣، ص٢٢٥.

[2] أحمد ابن طيفور، بلاغات النساء، انتشارات مكتبة الحدرية، ط٢، ١٣٧٨، ص٩٥.

[3] ليلي الحيالي، جمهرة النثر النسوي في العصر الإسلامي والأموي، بيروت مكتبة لبنان ناشرون، ط ٢٠٠٣م، ص ٣٦٨.

ويمكننا أيضا استدعاء صورة المرأة الناصحة، والحكيمة من خلال ما سرده ابن طيفور حيث يقول (حدثني عبد الله بن أحمد... عن مهدي قال قلت لولادة العبدية وكانت من أعقل النساء إني أريد الحج فأوصيني قالت أأوجز فأبلغ أم أطيل فأحكم؟ فقلت بما شئت، فقالت جد تسد واصبر تفز، قلت فمن أستعين؟ قالت الله، قلت من الناس، قالت الجلد النشيط والناصح الأمين، قلت فمن أستشير؟، قالت المجرب الكيس أو الأديب ولو الصغير، قلت فمن أستصحب؟ قالت الصديق الملم أو المداجي المتكرم). [1]

نرى جودة النثر النسوي، وأعذب كلام النساء، وأجمل القطع النثرية في هذه الوصية ففي نص ولادة العبدية الكنايات المعبرة وقصر الجمل وتسلسلها، وتناسق ألفاظها، وتتابع معانيها، وتشير الآراء النقدية في النثر النسوي إلى أن المرأة في العصرين الجاهلي والإسلامي نهلت من المعين نفسه الذي نهل منه الرجال (لذلك أجادت في الشعر والنثر على حد سواء، وعندما نمعن النظر والفكر فيما قالته فصيحات العرب وبليغاتهم نجد كلا منهن قطعة أدبية رائعة تعبر عن عاطفة إنسانية أو موقف سياسي مهم، أو عن وصف ينم عن مظاهر الذوق الرفيع في اللغة والأدب في تنميق وحسن اختيار). [2]

٢. صورة المرأة العالمة:

تكشف بعض نصوص السرد النسوي عن دور المرأة العالمة، والعارفة بأخبار القوم، والقبيلة وكانت تبحر المرأة في شؤون الأنساب والأحساب، وأخبار القبيلة إذ إن القبيلة أو العشيرة تمثل الوحدة السياسية والاجتماعية عندهم.

ولم يقتصر هذا العلم على الرجال فقط، بل خاضت المرأة فيه، وكانت محل ثقة واهتمام ومن اللواتي ثقفن معرفة القبائل جروة التميمية التي استدعاها أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان عند نزوله لمكة حيث قال: (فأرسلت إليك تخبريني عن قومك قالت: عن أي قومي تسألني؟ قال: عن بني تميم، قالت: يا أمير المؤمنين هم أكثر الناس عددا وأوسعه بلدا...قال: صدقتي فنزليهم لي، قالت: يا أمير المؤمنين أما بنو عمرو بن تميم فأصحاب بأس ونجدة وتحاشد، وشدة لا يتخاذلون عند اللقاء ولا يطمع فيهم الأعداء..، قال: صدقت ونعم القوم لأنفسهم قالت: وأما بنو سعد بن زيد مناه ففي العدد الأكثرون وفي النسب الأطيبون...)[3].

ولم تنحصر معرفة المرأة على علم الأقوام والأنساب وحسب، بل تجاوزت بمعرفتها خصائص وأسرار الإبل وفن وصف الخيل وهي فنون شائعة في أدبنا العربي القديم عنوا بها

[1] أحمد ابن طيفور، بلاغات النساء، انتشارات مكتبة الحدرية، ط٢، ١٣٧٨ص٦٢.
[2] عبد القادر فياض حرفوش، فصيحات العرب وبليغاتهم في الجاهلية والإسلام، دمشق دار كنان، ١٩٩٤م، ص ٩.
[3] أحمد ابن طيفور، بلاغات النساء، انتشارات مكتبة الحدرية، ط٢، ١٣٧٨، ص ١٠٧-١٠٨.

كما بلغ عنايتهم حد التنافس فيما بينهم، فلمعت أسماء كثيرة واختص كل واحد منها في موضوع معين حتى قيل: هذا أبلغ الوصافين للإبل، وذلك أحسنهم للخيل[1].

ويبدو ذلك واضحا في اقتناع القلسمي الكناني بمعرفة هند وجمعة، وعلمهما بأحوال الإبل والخيل من خلال دعوتهما وطلب رأيهما قال: (أي الإبل أحب إليك يا جمعة؟ قالت: أحب كل قراسية دوسر ملاحك الخلق عشنزر ململم، تقصد بذلك أنها تفضل الإبل الضخم الشديد العظيم من كل شيء.

قال القلمس: كيف تسمعين يا هند؟ قالت: نعم الجمل هذا.... وغيره أحب إليّ. قال: فقولي. فقالت: أحب كل ذي كاهل رفيع ملزز الخلق جميع محتمل ضليع يقل الرغاء، وتعني مجتمع الخلق مع القوة قليل الصوت فالرغاء صوت البعير.

قال القلمس كلتا كما محسنة فأي ذكور الخيل أحب إليك يا جمعة قالت أحب المنسوب جده الأسيل خده السريع شده الطويل مده الشديد هده الجميل قده، وتعني من هذه صوته وكان شديد السرعة في العدو)[2].

وهذا المشهد يترجم أثر المرأة في تنشيط الحركة الأدبية داخل الأسواق الكبرى حيث نجدها تؤكد على قدرتها المعرفية، والمناقشة، والحوار مما يعكس فهمها، وتميزها.

٣. صورة المرأة السياسية (الخطابة):

الخطابة هي نوع من أنواع الفنون النثرية التي تقوم على الإقناع والتأثير، واعتمدها العرب منذ الجاهلية في حروبهم لرفع الهمم، وفي حالة السلم لحقن الدماء والمناصحة والإرشاد، والتفاخر، ويعود اهتمامهم بالخطابة لأثرها البالغ، ورسوخها في العقول وقد قالوا (رُبّ قول أنفذ من صول)[3].

ولم تكن المرأة بمعزل عن هذا الفن، بل (اقتحمت مجال النضال من أجل العقيدة، ولتشارك في الصراع السياسي على الخلافة)[4] ، وقد خاضته بثبات، وأبدعت فيه، ووسمت اسمها بين الخطباء في تاريخنا الأدبي.

ومن اللواتي أوتين بلاغة القول الزرقاء بنت عدي التي حثت على القتال في يوم صفين وهي راكبة على جمل الأحمر بين الصفين، وخطبت في الناس، وأعلنت عن رأيها السياسي بلا خوف أو قيود، وأشارت إلى حال الناس التي فشت فيها الفتنة تقول: (أيها الناس إنكم في فتنة غشتكم جلابيب الظلم وجارت بكم عن قصد الحجة، ثم تعرض لنا الفرق بين علي ومعاوية ورافعة شأن علي رضى الله عنه تقول: أيها الناس إن المصباح لا يضيء

---

[1] انظر: العقد الفريد، أبو عمرو أحمد بن محمد بن عبد ربه، ج١ ص ١٧٦-١٨٣.

[2] انظر: أحمد ابن طيفور، بلاغات النساء، انتشارات مكتبة الحدرية، ط٢، ١٣٧٨، ص ٨٠-٨١.

[3] عبد الكريم إبراهيم دوحان، تاريخ الخطابة العربية إلى القرن الثاني الهجري مكتبة الثقافة العربية، القاهرة، ط، ٢٠٠٥م، ص ٤.

[4] فاطمة مرنيسي، صور نسائية، ترجمة جورجيت قسطون، دمشق د.ن ، ط٢٠٠٠م، ص١٦٥.

في الشمس وإن الكوكب لا يقدر في القمر وإن البغل لا يسبق الفرس، وكثيرا ما تستعين بأساليب النداء بغية السيطرة على فكرهم ومشاعرهم.

ويستمر الخطاب جزلا صلبا يحشد معاني القوة لاستنهاض همم الرجال والدفع بهم إلى القتال تقول: (إن خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء والصبر خير في الأمور عواقب، إيها الى الحرب قدمًا غير ناكصين فهذا يوم له ما بعده)[1].

وعكس هذا النص مدى قوة عقل، ورجاحة الزرقاء إذ كانت امرأة عاقلة، وجزيلة يدل كلامها على قوة الإقناع، وتميزها في فن الخطابة السياسية.

ومن اللواتي رفعن لواء الخطابة السياسية في مملكة الشعر النسوي بكارة الهلالية التي وافقت الزرقاء على معاداتها لأمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان في يوم صفين فقد (دخلت بكارة الهلالية على معاوية بن أبي سفيان بعد أن كبرت سنها ودق عظمها، فابتدأ مروان فقال أما تعرف هذه يا أمير المؤمنين؟ قال ومن هي قال هي التي كانت تعين علينا يوم صفين وهي القائلة:

يا زيد دونك فاستشر من دارنا سيفا حساما في التراب دفينا
قد كان مذخورا لكل عظيمة فاليوم أبرزه الزمان مصونا

فقال عمرو بن العاص وهي القائلة يا أمير المؤمنين:

أترى ابن هند للخلافة مالكا هيهات ذاك وما أراد بعيد
فارجع يا نكد طائر بنحوسها لاقت عليا أسعد وسعود[2]

والنص يكشف ويؤكد على اقتحام الهلالية حومة الوغى بجرأة وبسالة، وامتلاكها الملكة اللغوية والجرأة الأدبية، والقدرة على الوصف، والتصوير فالهلالية كانت توقد نار الحرب ضد معاوية، وأنصاره، وتلقي الحماس في جند علي كرمَ الله وجهه، بأبيات كالصوارم ولقوة أبياتها وبلاغتها، وشدة وطأتها على المقاتلين حفظتها ذاكرة كل من حضر الواقعة، ومنهم معاوية بن أبي سفيان.

وبالمطالعة في حادثة بكارة الهلالية سنلحظ دور المتلقي – مروان، وعمرو بن العاص– وتفاعله مع الأبيات، حتى إذا ما مرت الأزمنة، وتراكمت، واستفزت ذاكرته، وجدته يجسد لك الحادثة أو الموقف، وكأنها وقعت الآن.

ومن اللواتي حملن القول البليغ، ونفثن به في صفوف المقاتلين يوم صفين عكرشة بنت الأطش التي، وقفت على قتال معاوية بقوة نادرا ما نشهد لها مثيلا تقول: (يا أيها الناس

[1] انظر: أحمد ابن طيفور، بلاغات النساء، انتشارات مكتبة الحدرية، ط٢، ١٣٧٨، ص ٥١ – ٥٢.
[2] انظر: أحمد ابن طيفور، بلاغات النساء، انتشارات مكتبة الحدرية، ط٢، ١٣٧٨، ص ٥٣.

عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إن الجنة دار لا يرحل عنها من قطنها ولا يحزن من سكنها، كونوا قوما مستبصرين إن معاوية دلف اليكم بعجم العرب غلف القلوب لا يفقهون الإيمان ولا يدرون ما الحكمة، دعاهم بالدنيا فأجابوه واستدعاهم إلى الباطل فلبوه فالله الله عباد الله في دين الله وإياكم والتواكل)[١].

لقد ألقت في الناس خطبة كان لها وقعها الشديد، في الضمائر والعقول جعلت ابن أبي سفيان يقول: (فوالله، لولا قدر الله، لقد كان انكفأ علي العسكران) [٢].

والمتأمل في النصوص يجد تأثر المرأة العربية بأسلوب الوعظ الديني، مع الابتعاد عن القول الغريب، وهذا راجع إلى ارتقاء الخطابة في ظل الإسلام إذ تقول مي يوسف عن ذلك، (ومع المنعطف الديني الجديد، ومع التحول العقائدي الذي شهدته الأرض العربية، يبدأ التحول الهائل في الحقل الخطابي)[٣].

[١] أحمد ابن طيفور، بلاغات النساء، انتشارات مكتبة الحدرية، ط٢، ١٣٧٨، ص ١٠٣.
[٢] أبو عمرو أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، ج٢، ص ٨٦.
[٣] مي يوسف خليف، النثر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، ص ٧٣.

الخاتمة

قدم هذا البحث قراءة كاشفة لصورة المرأة العربية في السرد النسوي القديم، وأبرز خصوصيات الخطاب النسوي، وكشف أبعاده من خلال استقراء، وتحليل النصوص المتعلقة بالمرأة في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور.

ووصل إلى معطيات مهمة تشير إلى أن ارتباط المرأة بالسرد جاء على ثلاثة محاور وهي:

١. المرأة الفاعلة للخطاب السردي المركزي.

٢. المرأة المحركة لثنائية السرد (المرأة الرجل).

٣. المرأة المتلقية الناقدة.

كما توصل البحث إلى دور المرأة الفعال، وحضورها المؤثر من خلال موضوعاتها، وقضاياها الاجتماعية المختلفة. كونها ظهرت بصور متعددة من مثل:

١. المرأة الواعظة.

٢. صورة المرأة العالمة.

٣. صورة المرأة السياسية (الخطابة).

المصادر والمراجع

- أبو عمرو أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، ج١.
- أحمد ابن طيفور، بلاغات النساء، انتشارات مكتبة الحدرية، ط٢، ١٣٧٨.
- أحمد فرشوخ، جمالية النص الروائي: مقارنة تحليلية لرواية (لعبة النسيان) الرباط، دار الأمان، ط١، ١٩٩٦م.
- رضا الظاهر، غرفة فرجينيا وولف: دراسة في كتابة النساء، دمشق، دار المدى، ط ١ ٢٠٠١م.
- سيد محمد قطب، وآخرون، في أدب المرأة، القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ط٢٠٠٠م.
- عبد الله إبراهيم، السرد النسوي الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية، والجسد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢٠١١.
- عبد الله الغذامي، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، ط ١٩٩٦م.
- عبد القادر فياض حرفوش، فصيحات العرب وبليغاتهم في الجاهلية والإسلام، دمشق دار كنان ١٩٩٤م.
- عبد الكريم إبراهيم دوحان، تاريخ الخطابة العربية إلى القرن الثاني الهجري مكتبة الثقافة العربية، القاهرة، ط، ٢٠٠٥م.
- فاطمة مرنيسي، صور نسائية، ترجمة جورجيت قسطون، دمشق د.ن ، ط٢٠٠٠م.
- فاطمة مرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، المركز الثقافي العربي، ترجمة: فاطمة الزهراء أزرويل، د ط.
- ليلي الحيالي، جمهرة النثر النسوي في العصر الإسلامي والأموي، بيروت مكتبة لبنان ناشرون، ط ٢٠٠٣م.
- محمد عناني، الأدب والحياة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٩٩٣.
- مي يوسف خليف، النثر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، د ط.

البحوث والدوريات

- رشا ناصر العلي، ركائز السرد النسوي وخصائصه، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ع ٧٥ شتاء - ربيع ٢٠٠٩م.
- يمنى العيد، مقال أدب نسائي في عالم العربي، إيلاف، ٢٠٠٤م.

The aesthetics of feminist narration in the book Women's Reports by Ibn Tayfour

Researcher / Basma Muheisen Al-Qathami
Specialty literature and presentation criticism
Umm Al Qura University
Saudi Arabia

Summary:-
The research aims to unveil the aesthetics of feminist narration in ancient Arabic literature, which throughout history has been excluded from the centrality of culture and witnessed discrimination against it that is difficult to overlook in all areas. The old Arab literary and poetic narratives were rippling with the images of the current woman, whose role was limited to providing pleasure to men, it is a subject For its pleasure, it has rarely been taken care of outside of this inherited stereotypical function.

الفهرس

231 ..... التقديم
233 ..... تمهيد
233 ..... مفهوم السرد النسوي:
234 ..... المبحث الأول:
234 ..... ١. المرأة الفاعلة للخطاب السردي المركزي:
235 ..... ٢. المرأة المحركة لثنائية السرد (المرأة والرجل):
236 ..... ٣. المرأة المتلقية (الناقدة):
239 ..... المبحث الثاني:
239 ..... ١. المرأة الواعظة:
240 ..... ٢. صورة المرأة العالمة:
241 ..... ٣. صورة المرأة السياسية (الخطابة):
244 ..... الخاتمة
245 ..... المصادر والمراجع
245 ..... البحوث والدوريات
247 ..... الفهرس